

المحاضرة الثالثة/ الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي:

إن الحديث عن الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في ثقافتنا العربية هو حديث مرتبط بالدرجة الأولى بتلك الحوارات التي قدمها كلا من عبد الله الغدامي وعبد النبي اسطيف ضمن كتاب يحمل عنوان **نقد ثقافي أم نقد أدبي؟** ولهذا سنحاول هنا مناقشة ما جاء في هذا الكتاب لنصل في الأخير إلى أهم الفروقات الأدبي عن النقد الثقافي.

ينقسم كتاب **نقد ثقافي أم نقد أدبي؟** إلى محورين مرفقين بتعقيب لكل ناقد على مختلف الآراء التي صاغها ضمن طرحه المعرفي، ويبدأ عبد الله الغدامي أولاً وتحت عنوان **إعلان موت النقد الأدبي** يناقش مختلف القضايا المتعلقة بالمولود الجديد والمقصود هنا النقد الثقافي وفي هذا الصدد يقول «أنا أرى أن النقد الأدبي كما نعهده، وبمدارسه القديمة والحديثة قد بلغ حد النضج، أو سن اليأس حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالمياً وعربياً»¹.

ويرجع الغدامي هنا سبب دعوته هذه إلى احتفاء النقد الأدبي بما هو **جمالي/بلاغي** على حساب ما هو ثقافي أو ما سماه **بالنسق الثقافي**، ويعود هذا الاحتفاء كما يقول إلى احتضان البلاغة للنقد الأدبي منذ نشأته الأولى فقد نشأ النقد الأدبي وخرج من الفلسفة لكنه ترعرع ونما وتطور في حضان البلاغة وخصوصاً في ثقافتنا العربية التي كانت دائماً تمرر مجموعة من الأنساق الثقافية التي تم عن طريقها ازدياء الفلسفة وربطها بالزندقة والأمر هنا متعلق بالمقولة الشهيرة **من تمنطق فقد تزندق**، ولهذا يقول الغدامي «لا شك أن الجميل مطلوب وأساسي ولا شك أن السؤال عنه جوهرى وضروري، ولكن ماذا لون أن الجميل الذوقي تحول إلى عيب نسقي في تكوين الثقافة العامة، هذا ما لم يقف عليه النقد الأدبي ولم

¹ - عبد الله الغدامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، دار الفكر، سوريا، ط1، 2004، ص12.

يجعله في سجل تفكيره، وهذا ما يمكن للنقد الثقافي أن يقوم به ليسهم في مشروعات نقد الخطاب»¹.

إن دعوة الغدامي لموت النقد الأدبي هنا هي دعوة شبيهة بما ردهه رولان بارت حينما أعلن موت المؤلف والمقصود بالموت في هذا الصدد هو الموت بالمعنى المجازي، لأن الاهتمام بالقارئ على حساب المؤلف الذي احتقت به كثيرا المناهج السياقية هو المولود الجديد الذي يجب أن نراعيه، والأمر هنا أيضا متعلق بهذا الكلام فموت النقد الأدبي لا يعني بالضرورة إلغاءه تماما، بل يعني بالدرجة الأولى وجوب ميلاد جنين جديد تكون جيناته الوراثية مأخوذة من النقد الأدبي دون أن يكون فرعا منه كما لاحظنا سابقا مع ب ليتش وفي هذا يقول الغدامي «إن النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي، بل إنه سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي وهذه أول الحقائق المنهجية التي يجب القطع بها²، وبالفعل كان الغدامي في كتابه النقد الثقافي خصوصا في جزئه التطبيقي وفيها لهذا الكلام فقد انطلق في تحليله للنماذج التي اختارها من النقد الأدبي واشترط وجوب إعمال المصطلح النقدي إعمالا لا يتصف بالأدبية بل يتخذ له صفة أخرى تكون من ميزاتها أنها ثقافية، ولهذا حاول منذ البداية الاشتغال على مسألة **النقطة الاصطلاحية** مطورا النموذج التواصلية الذي وضعه جاكبسون وذلك بإضافة ما أطلق عليه الوظيفة النسقية التي غابت عن هذا النموذج لصالح الوظيفة الأدبية وفي هذا الصدد يقول الغدامي «إننا هنا نقترح إجراء تعديل أساسي في النموذج وذلك بإضافة عنصر سابع هو مانسميه بالعنصر النسقي (...). في هذا الإجراء ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقية إضافة إلى وظائفها الست الأولى المرتبطة بالعناصر الستة، وهي النفعية والتعبيرية والمرجعية والمعجمية والتنبيهية والشاعرية (الجمالية) (...). وهذا يمثل مبدأ أساسيا من مبادئ النقد الثقافي، كما نود أن نطرحه

¹ - عبد الله الغدامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص 19.

² - المرجع نفسه، ص 21.

هنا، فهو يمثل لنا أساساً للتحويل النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي، وذلك لكي ننظر إلى النص بوصفه حادثة ثقافية¹، ولم يتوقف الغدامي عند هذه النقطة بل حاول توسيع مفاهيم ومصطلحات أخرى كانت في أساسها مرتبطة بالنقد الأدبي وذلك من أجل التأسيس لرؤيته الجديدة، فهو يرى أن النقد الأدبي احتفى كثيراً بفكرة المجاز وقد حان الوقت لتوسيع هذا المفهوم، ولهذا نجده يقترح فكرة **المجاز الكلي بدل المجاز البلاغي** الذي صار بحد ذاته مؤسسة ذوقية، وستكون وظيفة المجاز الكلي «كشف الأزواج الدلالي الذي يتلبس الخطاب الثقافي ببعده الكلي الجمعي، فهو لا يقف عند حدود اللفظة والجملته، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال»²، ويتبع هذا التغيير تحويل آخر سيطراً على المستوى اللغوي وهو تحويل يمس مفهوم التورية البلاغية التي ستصبح **تورية ثقافية** وهو أمر ضروري من أجل اكتمال النموذج التحليلي، وفي الأخير سنصل كما يورد الغدامي إلى **الجملته الثقافية** وهذه الأخيرة هي «عبارة عن الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملته الثقافية، والجملته الثقافية ليس عدداً كمياً، إذ قد تجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي أن الجملته الثقافية هي دلالة اقتصانية وتعبير مكثف»³.

إذن ومن خلال ما سبق يمكن القول أن عبد الله الغدامي في دعوته الجديدة يسعى إلى تأسيس مشروع نقدي يتكأ على مفهوم الثقافة بدل مفهوم الأدب، حيث يريد أن يجعل من هذا المشروع رؤية جديدة في الثقافة العربية تؤسس لنفسها أسئلة جديدة حيث بدل أن نسأل سؤال النص سنسأل سؤال النسق، وبدل الحديث عن الدال سنتحدث عن المضمرة، وسنهتم أكثر بمسألة الاستهلاك الجماهيري بدل مسألة النخبة أو المعتمد، فهل وفق الغدامي في مشروعه

¹ - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية -، ص ص 64-65.

² - المرجع نفسه، ص 69.

³ - عبد الله الغدامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص 28.

الجديد وكيف كان رد عبد النبي اسطيف إزاء هذا الأمر هل وافق الغدامي في طرحه أم كان مناقضا له؟

يأتي رد عبد النبي اسطيف ضمن هذا الحوار بطريقة مخالفة لما طرحه الغدامي فهو منذ البداية يضع عنوانا يؤكد به مدى تمسكه بالنقد الأدبي حيث جاء عنوان رده موسوما بـ: **بل نقد أدبي؟**، وينطلق هذا الأخير من فرضية مفادها أن النقد الثقافي هو مجرد موضة ركبها النقاد العرب، فقد فُتتوا بما حققه النقد الثقافي في الثقافة الغربية «بوصفه جزءا مما بات يشار إليه في الأوساط الجامعية الغربية والأمريكية بالدراسات الثقافية، فقد رأوا فيه الحل السحري لجميع مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث، غافلين عن أن هذا النقد الثقافي على أهمية ما حققه من إنجازات لم يبلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وغير الغربية التي ازدهر فيها»¹ ولهذا نجد ضمن هذا الحوار يعيد التذكير من جديد بمفهوم النقد وعلاقته الوطيدة بالأدب وكيف يؤدي الأدب وذلك عن طريق اللغة مختلف الوظائف بما فيها المعرفية والتاريخية والتأثيرية ولكن تبقى الوظيفة الأساس التي يتطلع إليها الأدب هي الوظيفة الجمالية التي عن طريقها يحقق القارئ مبتغاه، فالهدف من قراءة عمل أدبي ما هو المتعة بالدرجة الأولى، ولذا نجد الناقد كما يقول عبد النبي اسطيف يولي عناية كبيرة لما هو جمالي باعتبار أنها تشكل موضوعه الأساس، ويبدو أن إسهاب عبد النبي اسطيف في حديثه عن علاقة الأدب بالنقد ومدى حاجتنا للنقد الأدبي جعله يرى أن النقد الأدبي قادر على استيعاب المتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهي رؤية كما نرى تنقصها الحجة فطرح عبد النبي اسطيف كان غارقا في التنظير ولم ينتبه أنه ضمن سياق يحاول من خلاله تقديم مقارنة يثبت بها جدوى التمسك بالنقد الأدبي وعدم الإيمان بالنقد الثقافي، ولهذا جاء تنظير الغدامي محكما ومقتنا لحد ما كونه شرح جميع الخطوات المنهجية والاجرائية

¹ - عبد الله الغدامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص 68-69.

والمعرفية التي من خلالها ادعى أن النقد الأدبي مات ولابد من بديل آخر يحل محله، وعلى العموم تتلخص الفروقات بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في الجدول الموضح أسفله:

النقد الأدبي	النقد الثقافي
<p>✓ النقد ولد في حضن الفلسفة واحتضنته البلاغة</p> <p>✓ يهتم النقد الأدبي بما هو جمالي</p> <p>✓ النقد الأدبي علم موضوعه الأدب</p> <p>✓ ينطلق النقد الأدبي في تحليله للنصوص من منهج محدد</p> <p>✓ يجعل النقد الأدبي من النص الأدبي بنية لغوية مغلقة تحد من حريته</p>	<p>✓ ولد النقد الثقافي في حضن الدراسات الثقافية ومدرسة فرانكفورت والتاريخانية الجديدة ومختلف النظريات ضمن مجال العلوم الانسانية والاجتماعية.</p> <p>✓ يدرس النقد الثقافي الأنساق الثقافية المضمرة التي تختفي وراء الجمالي</p> <p>✓ النقد الثقافي نشاط معرفي موضوعه الثقافة</p> <p>✓ لا ينطلق النقد الثقافي من منهج محدد ولكن نقاد الثقافة لا ينقدون دون الانطلاقة من وجهة نظر محددة</p> <p>✓ يجعل النقد الثقافي من النص الأدبي رؤية جدلية تتفاعل مع القارئ دون ربطه بخلفية اختزالية تحد من حريته</p> <p>✓ النقد الثقافي نقد فكري وعقائدي وأيديولوجي</p>